لبنان من بحيرة القرعون

تشكيل في اختبار فني
ومنى طراد دباجي تنزل الى بيروت

زرعت منى طراد دباجي حسها الوطني في محيط منطقة سد القرعون هذه السنة بعد ان حفرت اساسها التشكيلي في منطقة الاسواق السنوات الفائتة.

قبيل اندلاع الحرب تخرجت من قسم الفنون الجميلة - الجامعة الاميركية وسافرت على الفور الى الكاميرون مع زوجها هشام دباجي حيث اسسا عائلة مؤلفة من ثلاثة اولاد. عادت الى لبنان سنة ١٩٩٢ بعد ان امضت فترة طويلة في اختباراتها التشكيلية وفي تربية اولادها.

عرضت باكورة انتاجها في بلاد الاغتراب بين سنتي ١٩٨٨ و١٩٩٠ ولكن ميلادها الفني تحقق سنة ١٩٩٢ في معرضها الفردي الاول عند صالة الابيروف - دارتيست، الاشرفية.

تمحور معرضها الاول حول فكرة بعث منطقة الاسواق التي عاينتها طفلة بسبب وجود متجر والدها في سوق الطويلة.

جماليات المشهد الاثري اللبناني تجلت في قناطر واقواس وشبابيك ودرابزون وغيرها من عناصر الذاكرة المعمارية اللبنانية التي فتنتها الية الحرب.

مدينتها التراثية بدت خاشعة في هول سكونها وظلامها، وقد اكتست قشرة بنية وصفراء عسلية وكانها تندب كفنها الذي سيلبسها عنوة.

غاب انسانها اليومي امام عظمة المكان، ولكنه استغاث في جروح تمثال الشهداء مترنحا في احدى اللوحات. وانبعث تمثال الرئيس بشارة الخوري في لوحة رصفتها بابنية قديمة مجاورة مستنشقة عبقها من راحتيه.

تماثيلها الحجرية توخت طموحها في طفل صغير يدحرج دولابه على رصيف جغرافي بريء من صلافة المتحاربين.

اختارت ثمانية اعمال من معرضها الاول وعلّقتها شهادة دامغة على حسها الوطني وتطورها الفني.

وعوّضت غيابها الانساني في تقديم تحية جليلة الى طائفة مختارة من سيدات سهل البقاع.

* * *

نماذج نسائية قروية كبيرة الحجم احتلت ابعاد اعمالها التي تروي سيرة كفاحهن المرير وصراعهن امام صروف الدهر. نبشت المرأة العاملة المنسية في محيط سد القرعون الذي غلفهن سنابل عطاء لا متناهية في تدفقها الوجودي.

نسوتها تحلقن بخدودهن الوردية حول الصاج الذي تجدد ظهوره في لوحة ثانية «صبحية حول الصاج» مشيها لحظات يومية دافئة.

وتؤطر الفنانة اجسادهن بخطوط سوداء حادة ورشيقة تساعد على تغليف اللوحة في مساحات مرصوصة بتفاصيل ومفردات دقيقة الحجم.

وتثبت في عمق اللوحة سجادة منقوشة بموتيفات شرقية تضيف على تركيب لوحتها الحديثة عناصر بلاستيكية لم نعهدها في لوحاتها الاولى.

تُبرز الجانب السفلي من سجادتها التي تقابل بلاط غرفة الصاج في تناغم بصري محولا عناصر المكان البشرية والحجرية زوادة على بساط روحاني.

المناديل البيضاء تغطي الوجوه النضرة والفساتين المزركشة تتدلى على اجساد مكتنزة تجلس القرفصاء في كافة الاعمال مستمدة حيويتها من اجساد بالغة الضخامة.

كراسي الخيزران تستقبل ذخيرتها في جلسات تاملية مرتشفة القهوة في وضعيات جماعية. امراتها وحيدة في حياكة الصوف، منفردة في غربلة القمح وامام جرن الكبة، متصالحة مع ذاتها في استقبال جسدها العاري.

يقترب تاليف لوحات الصاج من لوحات تحضير «رب البندورة» حيث

امراة دوار الشمس (زيتية ٨٠ × ١١٥)

ارجل نسوتها تعصر سائلها الاحمر الذي يتصبب حركة دائمة في تاليف جزئيات حميمة من تناسلها الدموي.

لا تميل الى حشد هذا الكم من التفاصيل في اعمالها التي تستلهم الغناء الخارجي لمسرح تشكيلها البقاعي.

في حقولها الخارجية تستريح امراتها بثوبها النبيذي امام صندوقها البلاستيكي الابيض الذي يضم غلتها اليومية في خلفية صفراء ممشحة بلون العشب الاخضر. دوار الشمس منح حركة نصف دائرية لامراتين تنحنيان نصف انحناءة تعتمر احداهما قبعة وكوفية مرقطة بينما لا ترى من وجه الاخرى سوى نصف دائرة قبعتها.

في لوحاتها يتشابه تاليف العناصر ان من حيث الحركة او اللون الذي يوحد بين الثوب ولون الخمرة او الحركة التي تتحد في عناصر نصف دائرية.

ويتمركز تاليف اعمالها في تسمير اجسادهن ضمن البعد الاول من اللوحة الذي يضم خلفية متكئة على سلسلة جبلية شامخة بسواعدهن.

* * *

هذا الحضور الهزيل لخلفية العمل ينغلب في لوحات مصورة طريق كفريا حيث تسير سيدتان بصحبة فتاة صغيرة امام درب طويلة احتضنت شاحنة هاربة من ويلات هجرة الحرب في لوحة اخرى.

قطيع من الغنم يسرح في سهل احدى لوحاتها محتضناً هذا العدد الهائل من الغنم الذي يجد مستقره على سفوح سلسلة جبلية جرداء يفصل بينهما سد القرعون في نشيد افقي.

حتى دجاجاتها القرعونية خرجت امنة من قنها لكي تجد علفها في احواض صنعت خصيصاً لامنها الغذائي. بقرتها تتمدد في جوف لوحتها التي تمنح حليبها لامراة قروية تجثو عند اقدامها الاربعة.

* * *

وتتكامل قريتها اللبنانية النموذجية في بلدة صوفر التي تغفو على تلة مشرفة من خلف قضبان درابزون حديدية اسود اثبتته في البعد الاول من اللوحة الذي ينفتح وينغلق على اباجور نبيذي خارجي على مسطح اللوحة.

هذا الاباجور الخشبي الاحمر اللون لصقته على لوحة امراة عارية تزهو بنضارة جسدها الذي يقف على شرفة ربيع الحياة.

شاربتا القهوة (زيتية لمنى ٨٠ × ١٠٠)

ودخل اباجورها في لعبة لوحة تشيد علاقة جدلية بين الفناء الداخلي والخارجي الذي ينجدل على احواض زهور. بقيت العلاقة محدودة في رسم ابعاد ماورائية من خلال هذه العلاقة الثنائية المكانية بينما تلمس ابعادها في لوحات اثيرية مقتحمة هياكل ابنية تراثية. الزمن اللانهائي يُغذي نوافذ غيومه بين ضلوع ابنية تاريخية تشدو ازليتها من ازلية زرقة سماء لبنان.

هواجسها الفنية شملت اثاثها الخشبي من حاجب ومكتب سكبا مفرداتها في حلة تزيينية مقصية الجمود عن مادة الخشب.

ولكن الجدير ذكره هو ما نفذته على بلاط من السيراميك لكي يزين مطابخنا التي تحتاج الى لمسة فنية تكحل بصيرة اولادنا.

افكارها طريفة في كيفية تطبيق الاعمال الفنية على السيراميك الذي يمكنه العزف على اوتارنا اليومية بشكل محرض ومستفز لتلقي الجمال في ثواني انفاسنا.

مشاهدها، القروية تبدو فولكلورية للوهلة الاولى لمن يفتش عن لوحة تجاري التيارات العالمية المعاصرة، ولكنها دافئة في تقصيها عن ينابيع الحنان.

لوحاتها تدل على متانة تاليف وقوة امساك مسطح اللوحة الذي تغذي مساماه بحشد من التفاصيل الدقيقة. لوحتها تحتاج الى وقت طويل من التنفيذ وبشكل ادق الى شهور عديدة لكي يكتمل تخمرها. وكيف اذا كانت الفنانة تصر على استعمال مادة الزيت التي تبتعد عنها الاجيال الصاعدة من التشكيليين.

لوحتها تزيينية لمن يريد تهشيم مسيرة منى طراد دباجي، ولكنها نشيد الاناشيد لحن يتحسس جمالية سهل البقاع الذي حافظ على فرادة وخصوصية الريف اللبناني.

كلود سابا